

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

٨

أبو أيوب الأنصاري

فانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٨

أبو أيوب الأنصاري

بقلم

ناتيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

بمبادرة وزارة الثقافة
شاع كامل صدقي - الفجالة

٥٩٠٨٩٢٠ ت

أبو أيوب الأنصاري

جلسَ أفرادُ الأسرةِ بعدَ العِشاءِ في حُجرةِ
المعيشةِ يتسامرون . قالَ مُصطفى :

— أكملْ لنا يا أبا قصةَ هجرةِ الرّسول —
صلى الله عليه وسلّم — فهي قصّةٌ شائقةٌ ،
مليئةٌ بالمواقفِ الرّائعةِ .

قالَ أبوه : سأفعلُ يا مُصطفى ، ولكن بعدَ
أن يقولَ لي كلُّ منكم ما الذي أعجبهُ فيما
قصصتهُ عليكم البارحة .

قال مُصطفى : أَعْجَبْتَنِي شَجَاعَةُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ
 - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - عِنْدَمَا نَامَ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يَخَفْ بَطْشَ
 قُرَيْشٍ . وَكَذَلِكَ مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَمَا اخْتَبَأَ هُوَ وَالنَّبِيُّ فِي
 الْغَارِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حُبِّهِ الشَّدِيدِ وَوَلَائِهِ
 لِلنَّبِيِّ .

قَالَتْ رِيمُ : نَعَمْ يَا أَبِي ، فَقَدْ سَدَّ أَبُو بَكْرٍ
 بِثَوْبِهِ كُلَّ الشَّقُوقِ الَّتِي وَجَدَهَا فِي الْغَارِ ،
 وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا شَقٌّ لَمْ يُسَدِّ ، قَامَ بِسَدِّهِ
 بِجَسَدِهِ ، حَتَّى لَا يُفَاجَأَ النَّبِيُّ بِثُعْبَانٍ أَوْ

عَقْرَبَ . وقد حدث ما توقَّعه أبو بكر ،
وكان نصيبه لدَغَةً في جسده .

قال مُصطفى : وقد أعجبنى كثيراً ما
حدث لسُرَاقَةَ بنِ مالِكٍ ولِحِصَانِهِ ، عندما
حاول أن يلحقَ بالرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلَّم — ودلَّ ذلك على حِمَايَةِ اللَّهِ
— سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — لِرَسُولِهِ .

قال أبوهـم : حَسَنٌ جِدًّا ، فأرى أنكم
استوعبتم ما قصصْتُه عليكم بالأمس ،
والآن أكملُ لكم القِصَّةَ بوُصُولِ النَّبِيِّ
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — إِلَى الْمَدِينَةِ ،

وَاسْتَقْبَالَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَهُ بِالْغِنَاءِ وَالتَّهْلِيلِ
وَالْتَّصْفِيقِ .

قَالَتْ رِيمُ : لَقَدْ حَفِظْنَا فِي الْمَدْرَسَةِ النَّشِيدَ
الَّذِي اسْتَقْبَلَتْ بِهِ الْمَدِينَةُ الرَّسُولَ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ يَقُولُ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا

مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ

وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا

مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا

جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ

قال أبوها : نعم ، فقد كان أهل المدينة
سُعداء بوصول الرسول - صلى الله عليه
وسلم - إليهم ، وتشريفه مدينتهم ،
فتسابقوا جميعاً ليأخذوا بزمام ناقته ، لينزل
الرسول في ضيافتهم .

فهولاء بنو عوف ، وبنو بياضة ، وبنو
ساعدة ، وبنو الحارث بن الخزرج ، وبنو
عدى بن النجار ، كلٌ منهم يريد أن يكون
له شرف ضيافة الرسول - صلى الله عليه
وسلم - فالكلُّ يتسابقون ويأخذون بزمام ناقته -
صلى الله عليه وسلم . فكان يقول لهم : خلّوا
سبيلها فإنها مأمورة .

وَتَمْشَى النَّاقَةُ فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَكُلُّ
مِنْهُمْ يَتَمَنَّى أَنْ يَنَالَ شَرْفَ ضِيَاةِ
الرَّسُولِ ، وَيَدْعُو الرَّسُولُ رَبَّهُ : اللَّهُمَّ خِرْ
لِي وَاخْتَرْ لِي . إِلَى أَنْ بَرَكْتَ النَّاقَةُ أَمَامَ
دَارِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، ثُمَّ قَامَتْ وَطَافَتْ
بِالْمَكَانِ ، ثُمَّ عَادَتْ وَبَرَكَتْ فِي نَفْسِ مَكَانِهَا
الْأَوَّلِ .

هُنَالِكَ تَقَدَّمَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحًا
مُسْتَبْشِرًا ، وَحَمَلَ رَحْلَ الرَّسُولِ وَأَدْخَلَهُ
بَيْتَهُ ، وَتَبِعَهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - .

قالت ريم : ومن هذا الذى فاز بشرف
الضيافة يا أبى ؟

قال أبوها : إنه أبو أيوب الأنصارى
- خالد بن زيد - حفيد مالك بن النجار .

قال مصطفى : لا بد أنه كان سعيدا !
قال أبوه : وأى سعادة ! فسيُشرفه
الرَّسول - صلى الله عليه وسلم - بالإقامة
عنده ، إلى أن يقوم الرَّسولُ ببناء المسجد ،
وبناء دارٍ خاصَّةٍ له .

وأصرَّ الرَّسولُ - صلى الله عليه وسلم -
- أن ينزل فى الطَّابقِ الأسفلِ من الدَّارِ ،

وَاسْتَنكَفَ أَبُو أَيُّوبَ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ يَكُونُ
هُوَ فِي مَكَانٍ أَعْلَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ! وَلَكِنَّ
الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضَّلَ
ذَلِكَ ، حَتَّى لَا يَشُقَّ عَلَى زَائِرِيهِ .

وَيَحْكِي أَبُو أَيُّوبَ فَيَقُولُ : انْكَسَرَتْ فِي
يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَرَّةُ مَاءٍ ، وَخَافَ هُوَ
وَزَوْجَتُهُ أَنْ يَنْزِلَ الْمَاءُ عَلَى الرَّسُولِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَفَّفا الْمَاءَ بِقَطِيفَةٍ لِهَمَّا
مَا عِنْدَهُمَا غَيْرُهَا كَأَنَّا يَسْتَخْدِمَانِهَا كَغِطَاءٍ
لَهُمَا . فَأَصْرَّ أَبُو أَيُّوبَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَنْزِلَ
النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الطَّابِقِ
الْأَعْلَى ، وَيَنْزِلَ هُوَ فِي الطَّابِقِ الْأَسْفَلِ .

قالت ريم : أكان أبو أيوبَ من المسلمين
الأوائل ، الذين سارعوا إلى الإسلام ؟

قال أبوها : نعم . أسلم أبو أيوبَ في
بيعة العقبة الثانية ، وقد وهب نفسه
وحياته منذ إسلامه لنشر الدين الجديد ،
فكان في جميع الغزوات سيفاً من سيوف
الإسلام ، شارك في غزوات بدر وأحد
والخندق ، وكان في كل المشاهد والمغازي
البطل المقدام ، بائعاً نفسه وماله لله رب
العالمين .

ولم يتخلف أبو أيوبَ عن أية موقعة

لِلإِسْلَامِ أَيَّامَ الرَّسُولِ وَمِنْ بَعْدِهِ ، فَهُوَ
يَذْكُرُ دَائِمًا قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
« انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا » .

وخرج أبو أيوبَ في عهدِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي
سُفْيَانَ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ،
وَأُصِيبَ فِي الْمَعْرَكَةِ إِصَابَةً قَاتِلَةً . وَلَكِنْ
هَلْ تَعْلَمُونَ يَا أَوْلَادِي مَاذَا كَانَ آخِرُ
طَلَبٍ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؟

قال مُصْطَفَى : مَاذَا يَا أَبِي ؟ مَاذَا يَكُونُ
طَلَبُ رَجُلٍ قَضَى عُمُرَهُ كُلَّهُ فِي الْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ؟

قال أبوه : عزَّ عليه أن يموتَ قبلَ أن
يشهدَ فتحَ بلادِ الرُّومِ ، فطلبَ من قائدِ
الجيشِ زَيْدِ بنِ مُعاويةَ ، أنْ يَحْمِلَ جُثمانَهُ
إلى أبعدِ مكانٍ يُمكنُ أن يَصِلَ إِلَيْهِ فى
أرضِ العَدُوِّ ، حَيْثُ يدْفِنُهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ
بجيشِهِ على نفسِ الطَّرِيقِ ، حتى يَسمعَ أبو
أيُّوبَ وهو فى قَبْرِه ، أصواتَ جُيُوشِ
المُسلمينَ وهُم يَتَقَدَّمُونَ ، فيَعْلَمُ أَنَّهُم
أَدْرَكُوا غَايَتَهُم ، وكانَ لَهُمُ النَّصْرُ على
أَعْدَائِهِمْ .

قال مُصطفى : أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ كَانَ

حَرِيصًا عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ ؟

قال أبوه : لقد كانوا رجالاً كُلُّ غَايَتِهِم
نَشْرُ الْإِسْلَامِ فِي شَتَّى بَقَاعِ الْأَرْضِ .

قالت ريم : أَسْتَطِيعُ يَا أَبِي أَنْ أَسْتَتِجَ
مِنْ قِصَّتِكَ ، أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ كَانَ
رَجُلًا « بَسِيطًا » لَمْ يَعْرِفْ فِي حَيَاتِهِ
إِلَّا اللَّهَ وَالْعِبَادَةَ وَالصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ .

قال أبوها : هَذَا حَقِيقِيَّ يَا رِيمَ ، فَقَدْ
سَمِعَ أَبُو أَيُّوبَ ذَاتَ يَوْمٍ قَوْلَ الرَّسُولِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَعَاهُ وَأَدَّاهُ

أَحْسَنَ أَدَاءٍ ، سَمِعَهُ يَقُولُ : (إِذَا صَلَّيْتَ
فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ ، وَلَا تُكَلِّمَنَّ بِكَلَامٍ
تَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَالزَّمِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ) . فَكَانَ دَائِمًا أَبَدًا عَفَّ اللِّسَانَ ،
لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَلَا تَهْفُو نَفْسُهُ إِلَى
مَطْمَعٍ ، وَقَضَى حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي أَشْوَاقِ
عَابِدٍ ، وَعُزُوفِ مُودِّعٍ .

قَالَ مُصْطَفَى : اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ أَوْجَزَ تَعَالِيمَ
الْإِسْلَامِ فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ شَامِلَةٍ جَامِعَةٍ .

قَالَ أَبُوهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى » ؟